تأويل الاسم بالاسم وأثره في المعنى القرآني

م.م.مظفر عبد رومي الظاهري
جامعة واسط – كلية الآداب

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيّنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين.

أثارت انتباهي عند مطالعتي لتفاسير القرآن الكريم كثرة تأويلات المفسرين فيما يخص تأويل اللفظة باللفظة سواء كانت حرفاً أم اسماً أم فعلاً. وبما أن القرآن الكريم كلام الخالق العظيم الذي أبدع في خلق من أبدع هذه اللغة وابتكرها، تهيأ لي أنّ في كثير من تأويلات المفسرين حرجاً كبير، لاسيما أن القرآن الكريم رسالة للبشر تحمل ألفاظه المعاني المراد إيصالها، فهل يصح تأويل هذه الألفاظ بأخرى؟ وهل يبقى المعنى واحداً لو صحّ؟ وهل عزيز على الله ـ عزّ وجل ـ أن يأتي بالألفاظ المتأوَّلة؟ وهل تأويل المفسرين جاء عن حكمة ودراية؟... إلى آخره من الأسئلة التي تكونت في ذهني، فعزمت متوكلاً على الله في البحث في مسألة تأويل اللفظة باللفظة وكانت نيّتي بداية الأمر هي دراسة تأويل الألفاظ عموماً كتأويل الحرف بالحرف، الاسم بالاسم، والفعل بالفعل، ومناقشة آراء العلماء، ولكن غاية البحث، والهدف منه، والمنهجية التي حددت صفحاته حال دون ذلك؛ لذا قررت أن أبحث في تأويل الاسم بالاسم وأثر هذا التأويل في المعنى القرآني.

لقد أفدت كثيراً من كتاب (التأويل النحوي في القرآن الكريم) للدكتور عبد الفتاح الحموز الذي بحث في تأويلات المفسرين من جهة النحو وبين آراء النحويين والمفسرين وتأويلاتهم، ولم يكن منهجه البحث في الفروق بين معاني الألفاظ الأصلية والمتأولة، لذا بدأت من حيث انتهى الأستاذ عبد الفتاح الحموز، وقد اعتمدت على إحصائه الآيات القرآنية، فقد وجدت عند مراجعتي لإحصائه أنه كان دقيقاً متفحصاً.

ومن أبرز التفاسير التي اعتمدتها: (التبيان في تفسير القرآن) للطوسي، و(مجمع البيان) للطبرسي، و(الكشاف) للزمخشري، و(البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي، و(حاشية الشهاب) على تفسير البيضاوي، و(بيان السعادة) للجنابذي، و(الميزان) للطباطبائي، و(معاني القرآن)

للفراء... إلخ. ومن كتب اللغة أهمها: (العين) للفراهيدي، و(الصحاح) للجوهري، و(لسان العرب) لابن منظور. وعددا من كتب النحو.

اللهم تقبل هذا منّا ووفقنا لما تراه خيراً وترضاه إنك أنت العزيز الحكيم.

تمهيد:

لعل من الضروري لدارس التأويل مناقشة هذه اللفظة وما تحمله من معانٍ، وأن يوضح الفرق بين التفسير والتأويل إذا كانت دراسته تدور في فلك القرآن الكريم. وهناك اتجاهان رئيسان في فهم كلمة التأويل لدى علماء التفسير المتقدمين والمتأخرين، الأول الاتجاه الذي يميل إلى القول أن كلمة التأويل مرادفة لكلمة التفسير. وهذا هو الاتجاه العام لدى القدماء منهم أبو عبيدة وثعلب(١)، وكذلك مجاهد ـ عند تفسير القرآن ـ "أن العلماء يعلمون تأويله، وقول ابن جرير الطبري في تفسيره المعروف (القول في تأويل قوله كذا...) الأمر الذي يشعر بأنه يتبنى هذا المبنى"(٢). ويبدو أن القرطبي من أنصار هذا المذهب إذ جاء في تفسيره: "والتأويل يكون بمعنى التفسير كقولك: تأويل هذه الكلمة على كذا، ويكون بمعنى ما يؤول الأمر اليه، واشتقاقه من: آل الأمر إلى كذا يؤول إليه، أي صار. وأوّلته تأويلاً، أي صيرته"(٣). وذكر ابن تيمية في (صريح المعقول لصحيح المنقول)(٤) أن لفظ التأويل في القرآن يراد به ما يؤول الأمر إليه وإن كان موافقاً لمدلول اللفظ ومفهومه في الظاهر، ويراد به تفسير الكلام وبيان معناه وإن كان موافقاً له.

أما الاتجاه الثاني، فهو يرى أن كلمة التأويل تختلف عن كلمة التفسير في بعض الحدود، فالتفسير عند بعضهم أعمّ من التأويل، جاء في كتاب (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني: "والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: تفسير الرؤيا وتأويلها..."(٥). وعليه فالتفسير أعمّ من التأويل عنده، وذكر أيضاً أن أكثر استعمال التفسير في الألفاظ وأكثر استعمال التأويل في المعاني، وأن أكثر استعمال التأويل

(١) ينظر التأويل النحوي ١ /٩.
(٢) تفسير سورة الحمد لمحمد باقر الحكيم ص ٢٣.
(٣) تفسير القرطبي ٤ / ١٥ ـ ١٦.
(٤) ينظر منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، وبهامشه كتاب (صريح المعقول لصحيح المنقول) ١ / ٥.
(٥) المفردات في غريب القرآن (فسر)، وينظر التأويل النحوي ١ / ١٠.

في الكتب الإلهية، أما التفسير ففي غيرها[٦]. وقال السيد محمد باقر الحكيم: "يرى بعضهم أن الاختلاف بين التأويل والتفسير هو الاختلاف بين العام والخاص، فالتأويل مختص في خصوص الكلام الذي له معنًى ظاهر فيحمل على غيره فيكون هذا الحمل تأويلاً. وأما التفسير فهو أعمّ منه لأنه بيان مدلول اللفظ مطلقاً سواء على خلاف المعنى الظاهر أو لا"[٧].

ومن العلماء من لاحظ نوع الحكم "فيقال بأن (التفسير) يصدق على خصوص الموارد التي نتمكن فيها من كشف معنى القرآن المراد من الكلام القرآني بدرجة القطع، وذلك باعتبار وجود الوضوح في نتيجة الكشف حتى لو كان هذا الكشف مستنداً إلى أدلة وقرائن أخرى غير اللفظ. وأما إذا بقي هناك احتمال إرادة معنًى آخر وإن كان هذا الاحتمال بدرجة ضعيفة فإن بيان المعنى هنا هو تأويل لا تفسير. وهذا يعني أيصاً أن أحكام المفسِّر أحكام قطعية بينما تكون أحكام المؤوِّل أحكاماً ترجيحية"[٨]. وقيل إن التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية[٩]. وجعل الزركشي (المفسر) ناقلا والمؤول مستنبطا[١٠].

وذكر أبو طالب التغلبي أن التفسير هو بيان وضع اللفظ إما حقيقةً وإما مجازاً كتفسير السراط بالطريق، والتأويل تفسير باطن اللفظ، فالتأويل عنده إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد[١١]. وجعل بعضهم التأويل صرف الآية إلى معنًى موافق لما قبلها وبعدها وغير مخالف للكتاب والسنة[١٢]. وذكر بعض المفسرين أن التفسير في الاصطلاح هو علم نزول الآيات وشؤونها وأسباب النزول وترتيبها، مكيها ومدنيها وغير ذلك[١٣].

والتأويل في الشرع عند الجرجاني صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنًى يحتمله موافقاً للكتاب والسنة[١٤]. ومنهم من رأى أن الفرق بينهما "على أساس الدليل والمستند الذي يستند أليه في عملية الكشف فإن كان دليل الكشف على المعنى دليلاً عقلياً فهو التأويل، وإن كان

(٦) ينظر البرهان في علوم القرآن٢ /١٤٩، ومفتاح السعادة ٢/٥٧٣، والتأويل النحوي ١/١٠-١١.
(٧) تفسير سورة الحمد ص ٢٣ ـ ٢٤.
(٨) تفسير سورة الحمد ص ٢٤، وينظر التأويل النحوي ١ / ١١.
(٩) ينظر التأويل النحوي ١ / ١١.
(١٠) ينظر البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٦٦.
(١١) ينظر مفتاح السعادة ٢ / ٥٧٣.
(١٢) ينظر مفتاح السعادة ٢ / ٥٧٣.
(١٣) ينظر مفتاح السعادة ٢ / ٥٧٣، والبحر المحيط ٢ / ١٤.
(١٤) ينظر التأويل النحوي ١ / ١٢.

الدليل على الكشف دليلاً شرعياً فهو التفسير"[١٥]. ويضيف السيد محمد باقر الحكيم معنًى آخر إلى كلمة التأويل إذ يقول: "إنّ معنى التأويل هو (تفسير المعنى)، وبذلك تتعرف العلاقة بين كلمتي التفسير والتأويل؛ فأن كلمة التفسير تعني تفسير اللفظ، وكلمة التأويل تعني تفسير المعنى"[١٦]. وهو الراجح عند الباحث.

أما ما يتعلق بالدلالة اللغوية للفظة (تأويل) فإنها مصدر أوّل يؤوّل وفي اشتقاقه قولان: الأول: أنه من آل يؤول أولاً ومآلاً، أي عاد ورجع. ويقال أوّل الكلام تأويلاً، وتأوله: دبرّه وقدّره وفسرّه. وقيل إنّ أصله من المآل وهو العافية والمصير. الثاني: أنه مشتق من الإيالة، وهي السياسة، فكأنّ المؤول للكلام يسوسه ويضعه موضعه، وتقول العرب: قد أُلنا وإيلَ علينا أي: سُسنا وسيسَ علينا، أي: ساسنا غيرنا [١٧]. ويعبر عن التأويل أحياناً بألفاظ أخرى تحمل المعنى نفسه ومن هذه الألفاظ: (التخريج)، و(الحمل)، و(التوجيه)، و(التقدير)، و(الوجه)، و(الاعتقاد)، و(الاحتمال)، و(الحجة)، و(التناول)، و(القانون)، و(الحيلة)، و(التمحل)[١٨]. وقد وردت كلمة التأويل في القرآن في سبعة مواضع:

١. في سورة آل عمران، قال تعالى: "هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا كل من عند ربنا..."[١٩].

٢. في سورة النساء، قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وذلك خيرٌ وأحسن تأويلا"[٢٠].

٣. في سورة الأعراف، قال تعالى: "ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هدًى ورحمةً لقوم يؤمنون هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبلُ قد جاءت رسل ربنا بالحق..."[٢١].

---

(١٥) تفسير سورة الحمد ص ٢٤.
(١٦) تفسير سورة الحمد ص٢٩.
(١٧) ينظر لسان العرب (أوّل)، وتاج العروس (أوّل).
(١٨) ينظر التأويل النحوي ١ / ١٧ - ٢٠.
(١٩) آل عمران: ٧.
(٢٠) النساء: ٥٩.
(٢١) الأعراف: ٥٢ - ٥٣.

٤ . في سورة يونس، قال تعالى: "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله..."(٢٢).

٥ . في سورة يوسف، قال تعالى: "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث..."(٢٣).

٦. في سورة الإسراء، قال تعالى "وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيرٌ وأحسن تأويلا"(٢٤).

٧. في سورة الكهف، فال تعالى "قال هذا فراق بيني وبينك سؤنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً"(٢٥).

المبحث الأول. تأويل المشتق بالمشتق:

١. فعيل بمعنى مَفعول، وفاعل، ومُفعِل، ومُفعَل:

فعيل بمعنى مفعول:

مما جاء في القرآن الكريم صيغة فعيل بمعنى مفعول قوله تعالى: "ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم"(٢٦)، أي: مكظوم(٢٧). جاء في (التبيان): "قال الضحاك: كظيم: كئيب، وهو المغموم الذي يطبق فاهً ولا يتكلم للغم الذي به، مأخوذ من الكظامة وهو سد فم القربة"(٢٨).

ومنه قوله تعالى: "فأنبتنا به جنات وحبّ الحصيد"(٢٩)أي: المحصود(٣٠)، وقال آخرون: الحصيد صفة لمحذوف أي: حبّ النبات الحصيد(٣١)، ويرى صاحب (الميزان) أنه من إضافة

(٢٢) يونس: ٣٩.
(٢٣) يوسف: ٦.
(٢٤) الإسراء: ٣٥.
(٢٥) الكهف: ٧٨.
(٢٦) النحل: ٥٨.
(٢٧) ينظر البحر المحيط ٥ / ٥٠٤.
(٢٨) التبيان في تفسير القرآن للطوسي ٦ / ٣٩٣، وينظر مجمع البيان للطبرسي ٣ / ٣٦٦،، وينظر البحر المحيط لأبي حيان ٥ / ٥٠٤.
(٢٩) ق: ٩.
(٣٠) ينظر التبيان في إعراب القرآن ٢ / ١١٧٤.
(٣١) ينظر مجمع البيان ٥ / ١٤٢، والكاشف ٧ / ١٢٧.

الموصوف إلى الصفة[٣٢]، وقال الجنابذي: "يعني أنبتنا به حب النبات الذي من شأنه أن يحصد"[٣٣]. ومنه قوله تعالى: "والنخل باسقات ولها طلع نضيد"[٣٤]، أي: نضد بعضه على بعض فهو منضود، وهو قول مجاهد وقتادة[٣٥]، جاء في الميزان: "والنضيد بمعنى المنضود بعضه على بعض"[٣٦]. ومنه قوله تعالى: "فكانوا كهشيم المحتظر"[٣٧]، قالوا أي: كمهشوم المحتظر[٣٨]. ومنه قوله تعالى: "واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح"[٣٩]، أي: مكسوراً مفتتاً، والهشيم النبات اليابس المفتت[٤٠]، وقيل مهشوماً متحطماً[٤١]. جاء في (الميزان) قوله: "والهشيم فعيل بمعنى مفعول من الهشم"[٤٢]. ومنه قوله تعالى: "أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم"[٤٣]. قيل من كل زوج كريم من أنواع تُكرم عند أهلها فهي مكرومة[٤٤].

ومن ذلك قوله عز وجل: "وما أنت عليهم بوكيل"[٤٥]، معناه أنك لم توكل بحفظ أعمالهم[٤٦]، أو وما أنت بمسلط عليهم لتدخلهم في الإيمان قهراً، أو مفوضاً إليك أعمالهم حتى تصلحها لهم بهدايتهم إلى الحق[٤٧]. وجاء في (كنز الدقائق): "أي بموكل بهم، أو بموكل إليه

(٣٢) ينظر الميزان في تفسير القرآن ١٨ / ٣٧٠.
(٣٣) بيان السعادة ٤ / ١٠٨، وينظر كنز الدقائق / ١٢ / ٣٧٠.
(٣٤) ق: ١٠.
(٣٥) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٩ / ٣٦٠، وجمع البيان ٥ / ١٤١، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ١١٧٤، والبحر المحيط ٨ / ١٢٢، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ٧٦، والكشاف ٤ / ٥، وكنز الدقائق ١٢ / ٣٧٠، وبيان السعادة ٤ / ١٠٨، والتأويل النحوي ص ١٤٤٦.
(٣٦) الميزان ١٨ / ٣٧٠، وينظر الكاشف ٧ / ١٢٧.
(٣٧) القمر: ٣١.
(٣٨) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٩ / ٤٥٥، ومجمع البيان ٥ / ١٩٠، وتفسير القرطبي ١٧ / ١٤٢، وبيان السعادة ٤ / ١٢٩، والتأويل النحوي ص ١٤٤٦.
(٣٩) الكهف: ٤٥.
(٤٠) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٧ / ٥١.
(٤١) ينظر جامع الجوامع ٢ / ٣٦٧، وكنز الدقائق ٨ / ٨٢.
(٤٢) الميزان ١٣ / ٥٤٢.
(٤٣) الشعراء: ٧.
(٤٤) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٨ /٨.
(٤٥) الشورى: ٦.
(٤٦) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٩ / ١٤٤.
(٤٧) ينظر مجمع البيان ٥ / ٢٢، والميزان ١٨ / ٩.

أمرهم"[٤٨]. ومنه قوله تعالى: "وما هو بقول شيطان رجيم"[٤٩]، قيل رجيم بالشهب طرداً من السماء، فهو فعيل بمعنى مفعول، أي: مرجوم بالشهب[٥٠]. ومنه قوله تعالى: "واجعله ربيا رضيا "[٥١]، جاء في (التبيان) قوله: "أي: اجعل يا رب ذلك الولي الذي يرثني مرضياً عندك ممتثلاً لأمرك "[٥٢]. ومنهم من قال أي: راضياً أو مرضياً[٥٣].وقال صاحب (الميزان): "الرضي بمعنى المرضي، وإطلاق الرضا شموله للعلم والعمل جميعاً، فالمراد به المرضي في اعتقاده وعمله، أي: اجعله ربّ محلًى بالعلم النافع والعمل الصالح[٥٤].

ويرى الباحث أن هذه التأويلات لا ضرورة لها بل هي متمحلة وهي تعسف بحق المعنى، فليس بعزيز على الله تعالى أ يقول (مكظوم) وقد قالها في سورة القلم: " إذ نادى وهو مكظوم"[٥٥]، أو أن يقول (المحصود)، أو (المهشوم)، أو (المنضود)... إلخ، بل ينبغي أن نبحث في الفروق المعنوية بين الألفاظ التي جاءت في التنزيل الكريم والألفاظ التي أوّلها العلماء ليتبين لنا صحة التأويل من عدمه. ففي قوله تعالى: "ظل وجهه مسوداً وهو كظيم" حكاية عن الوائد لابنته، فقد استعمل عزّ وجل الصفة المشبهة لتناسب المقام فهذا تراه في حالة كظم وغم منذ لحظة علمه بحمل امرأته خوفاً من أن يكون الجنين بنتاً وهكذا طول فترة الحمل، وعندما تولد البنت يستمر الكظم، وعند وأدها يستمر ويزداد إذ هو والد وبشر يحمل من المشاعر والعواطف ما يحمله الآخرون ولكن خوفاً من العار ـ كما يعتقد ـ وأدها. لذا استعمل عز وجل الصفة المشبهة دون اسم المفعول لأنها تدل على الاستمرار والثبات كـ(طويل)، و(قصير)، و(كبير)، و(صغير)، و(كريم)، و(ظريف)... إلخ[٥٦].

والمقام يختلف في قوله عز من قائل: " إذ نادى وهو مكظوم " فهو حكلية عما حدث لسيدنا يونس ـ عليه السلام ـ عندما التقمه الحوت، فلم يكن مكظوماً قبل ذلك، وعندما قذفه الحوت زال عنه الكظم، لذا لم يستمر على هذه الحال فكان من المناسب استعمال اسم المفعول.

(٤٨) كنز الدقائق ١١ / ٤٧٧.
(٤٩) التكوير: ٢٥.
(٥٠) ينظر التبيان في تفسير القرآن ١٠ / ٢٧٨، ومجمع البيان ٥ / ٤٤٥، وجامع الجوامع ٤ / ٨١٣.
(٥١) مريم: ٦.
(٥٢) التبيان في تفسير القرآن ٧ / ١٠٥، وينظر مجمع البيان ٣ / ٥٠٢.
(٥٣) ينظر التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٨٦٧، وحاشية الشهاب ٦ / ١٤٦.
(٥٤) الميزان ١٤ / ٦، وينظر بيان السعادة ٣ / ٢، وكنز الدقائق ٨ / ١٩٤.
(٥٥) القلم: ٤٨.
(٥٦) ينظر الميزان ١/ ١٦، ومواهب الرحمن ١ / ٨، وصفوة التفاسير ١ / ١٩.

قال صاحب (العين): "والكظامة: القناة، كظمت القناة سددتها... والمكظوم الذي يلتقمه الحوت"(٥٧). وجاء في (الصحاح): "كظم غيظه كظماً، فهو رجل كظيم والغيظ مكظوم"(٥٨). وهكذا في قوله تعالى: "فأنبتنا به جنات وحب الحصيد"، فهو دلالة على ثبوت هذه الصفة فيه، فهذا شأنه يزرع ويحصد وهو دائم على هذه الحالة. وكذا في قوله تعالى: "والنخل باسقات ولها طلع نضيد"، دلالة على ثبوت هذه الصفة فهو كلما طلع كان على هذه الهيئة من الانتظام. وهكذا في الآيات الأُخر والله أعلم.

فعيل بمعنى فاعل:

مما جاء في القرآن الكريم بصيغة فعيل بمعنى فاعل قوله تعالى: "ولم يكن جباراً عصياً"(٥٩)، جاء في (التبيان في تفسير القرآن): "عصيّا: فعيل بمعنى فاعل"(٦٠)، أي: عاصياً لربه(٦١). ومنه قوله تعالى: "وكان الكافر على ربه ظهيرا"(٦٢)، أي: مظاهراً فهو فعيل بمعنى فاعل. جاء في (التبيان في تفسير القرآن): "قال الحسن ومجاهد وابن زيد: يظاهر الشيطان على معصية الله. وقيل ظهيراً معناه هيناً كالمطرح، والأول هو الأوجه، وقيل معنى (ظهيراً) مُعيناً"(٦٣)، ومنهم من رأى أنه بمعنى مفعول، جاء في (مجمع البيان) قوله: "والظهير بمعنى المظهور وهو المتروك المستخف به"(٦٤).

ومنه قوله تعالى: "إنكم لفي خلق جديد"(٦٥) جديد: عند البصريين بمعنى اسم الفاعل من (جدّ الثوبُ) إذا صار جديداً، وند الكوفيين بمعنى اسم المفعول من (جدّ النساجُ الثوبَ) إذا قطعه(٦٦)، فهو جديد أي: معاد، والمعنى أنكم يُجدد خلقكم بأن تنشروا وتُبعثوا(٦٧).

---

(٥٧) العين (كظم).
(٥٨) الصحاح (كظم).
(٥٩) مريم: ١٤، ٤٤.
(٦٠) التبيان في تفسير القرآن ٧ / ١١٢.
(٦١) ينظر مجمع البيان ٣ / ٥٠٦، ٥١٦، وجامع الجوامع ٢ / ٨٨، وكنز الدقائق ٨ / ٢٠٤.
(٦٢) الفرقان: ٥٥.
(٦٣) التبيان في تفسير القرآن ٧ / ٤٩٩، وينظر جوامع الجامع ٣ / ١٤٣، وكنز الدقائق ٩ / ٤١٦، وبيان السعادة ٣ / ١٤٥، والميزان ١٥ / ٢٤٩.
(٦٤) مجمع البيان ٤ / ١٧٥.
(٦٥) سبأ: ٧.
(٦٦) ينظر الكشاف ٣ / ٢٨١، والبحر المحيط ٧ / ٢٦١، وحاشية الشهاب ٧ / ١٩١، وكنز الدقائق ١٠ / ٤٦٤، والتأويل النحوي ٢ / ١٤٤٧.

ومنه قوله تعالى: "قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ"(٦٨). قال الطبرسي: "أي حافظ لعدتهم وأسمائهم وهو اللوح المحفوظ لا يشذ عنه شيء، وقيل حفيظ أي محفوظ عن البلى والدروس"(٦٩). وقال المشهدي: "حافظ لتفاصيل الأشياء كلها، أو محفوظ عن التغيير والمراد: أما تمثيل علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه، أو تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده"(٧٠). ومنه قوله تعالى: "منّاع للخير معتد أثيم"(٧١). وجاء في (التبيان): "أي آثم فهو فعيل بمعنى فاعل وهو الذي فعل ما يؤثم به"(٧٢). وقيل: أثيم كثير الآثام أي كثر إثمه حتى استقر فيه من غير زوال(٧٣). وهذا ما يرجحه الباحث.

فعيل بمعنى مُفعِل:

من ذلك قوله تعالى: "ليكون للعالمين نذيرا"(٧٤)، قال الطبرسي: "نذيراً: منذراً مخوفاً، أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار"(٧٥)، وهو بذلك جوّز أن يكون مصدراً بمعنى (الإنذار)، أو (نذيراً) بمعنى (المنذر). وهذا ما جوّزه أبو حيان أيضاً(٧٦). ومنه قوله تعالى: "فستعلمون كيف نذير"(٧٧)، القول في هذه الآية مثل سابقتها لكن صاحب الميزان استسخف أن يكون (نذير) بمعنى المنذر، فقال: "النذير مصدر بمعنى (الإنذار)، وقيل النذير صفة بمعنى المنذر والمراد به النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو سخيف"(٧٨). وجاء في (لسان العرب) قوله: "حكا الزجاجي: أنذرته إنذاراً، ونذيراً، والجيد أن الإنذار المصدر، والنذير الاسم. وفي التنزيل العزيز: "فستعلمون كيف نذير" معناه فكيف كان إنذاري. والنذير اسم الإنذار، والنذير المحذر، فعيل بمعنى مُفعِل والجمع نُذُر، قال أبو منصور: والنذير يكون بمعنى المنذر وكان الأصلَ، وفعله

(٦٧) ينظر مجمع البيان ٤ / ٣٧٩.
(٦٨) ق: ٤.
(٦٩) مجمع البيان ٥ / ١٤١، وينظر جوامع الجامع ٤ / ٥٩١.
(٧٠) كنز الدقائق ١٢ / ٣٦٨، وينظر بيان السعادة ٤ / ١٠٧، والميزان ١٨ / ٣٦٨.
(٧١) القلم: ١٢.
(٧٢) التبيان في تفسير القرآن ١٠ / ٧٧.
(٧٣) ينظر كنز الدقائق ١٣ / ٣٨، وبيان السعادة ٤ / ١٩٦، والكاشف ٧ / ٣٨٥، والميزان ٢٠ / ٢٩.
(٧٤) الفرقان: ١.
(٧٥) جوامع الجامع ٣ / ١٢٦، وينظر كنز الدقائق ٩ / ٣٦٠، والميزان ١٥ / ١٨٧، والجديد ٥ / ١٣٥.
(٧٦) ينظر البحر المحيط ٦ / ٤٨٠، وحاشية الشهاب ٦ / ٤٦، والتأويل النحوي ٢ / ١٤٤٧.
(٧٧) الملك: ١٧.
(٧٨) الميزان ٢٠ / ١٥، وينظر الجديد ٧ / ١٩٩.

الثلاثي أُميتَ، ومثله السميع بمعنى المُسمِع، والبديع بمعنى المُبدع"[٧٩]. ومنه قوله تعالى: "واهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون"[٨٠]، قيل إن قوله تعالى (أليم) يعني: مؤلم[٨١].

فعيل بمعنى مُفعَل:

مما جاء في التنزيل من فعيل بمعنى مُفعَل اسم الحكيم كما في قوله تعالى: "ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم"[٨٢]، وقوله تعالى: "تلك آيات الكتاب الحكيم"[٨٣]، وقوله تعالى: "يس والقرآن الحكيم"[٨٤]، حكيم: محكم لأنه يظهر الحق والباطل بنفسه كما يظهره الحكيم بقوله ولذلك يقال: الحكمة تدعو إلى الإحسان، وتصرف عن الإساءة[٨٥]. جاء في (التبيان): "قال أبو عبيدة: حكيم ههنا بمعنى محكم وأنشد لأبي ذؤيب:

يواعدني عكاظ لننزلنه ولم يشعر إذن أني خليفُ[٨٦]

أي: مخلف من أخلفته الوعد. ويؤكد ذلك قوله تعالى: "الر كتاب أحكمت آياته"[٨٧]"[٨٨]. وقيل هو بمعنى الحاكم ودليله قوله تعالى: "ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه"[٨٩]"[٩٠]. وذكر الزمخشري أنه وصفٌ لله تعالى من باب الإسناد المجازي أي: الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فيكون من باب الحذف والإيصال[٩١]. وذكر الطبرسي في (جوامع الجامع) أن معنى الحكيم: "ذي الحكمة، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحي، أو لأنه كلامُ حكيم

(٧٩) لسان العرب (نَذَرَ).
(٨٠) الأنعام: ٧٠.
(٨١) ينظر مجمع البيان ٢ / ٣١٧.
(٨٢) آل عمران: ٥٨.
(٨٣) يونس: ١، وينظر لقمان: ٢.
(٨٤) يس: ٢.
(٨٥) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٨ / ٢٦٩.
(٨٦) هذا البيت من الوافر وهو لأبي ذؤيب الهذلي.
(٨٧) هود: ١.
(٨٨) التبيان في تفسير القرآن ٥ / ٣٣١، وينظر مجمع البيان ٣ / ٨٨، والميزان ١٠ / ٤.
(٨٩) البقرة ٢١٣.
(٩٠) ينظر مجمع البيان ٣ / ٨٨.
(٩١) ينظر الكشاف ٣/ ٢٢٩، وحاشية الشهاب ٧ / ١٣٢، والبحر المحيط ٧/ ١٨٣، والتأويل النحوي ٢/ ١٤٤٨.

فوصف بصفة المتكلم به"[٩٢]. وقيل وصفه به لكثرة حكمه كأنه ينطق بالحكمة[٩٣]. وهذا القول ما يرجحه الباحث فليس بعزيز على الله عزّ وجل أن يقول (الكتاب المحكم) أو (الكتاب الحاكم) أو (الكتاب صاحب الحكمة) إنما أراد ثبوت الحكمة وكثرتها فيه لذا حَسُن وصفه بأنه حكيم لما في فعيل من معنى الكثرة والثبات، وهذه الكثرة وهذا الثبات فيها يجعله حاكماً في الاختلافات وهو بذلك محكم وذي حكمة، فما جمع هذه المعاني إلاّ صيغة فعيل والله أعلم.

٢. فاعل بمعنى مفعول:

من ذلك قوله تعالى: "لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم"[٩٤]. قيل فيه أقوال، أحدها: إنه استثناء منقطع لأن عاصم (فاعل) و (من رحم) (مفعول) كأنه قال من رحم فإنه معصوم. والثاني: أن يكون المعنى لا عاصم إلاّ من رحمنا، فكأنه قال لا عاصم إلاّ الله وهذا بدل من غير تأويل وهو اختيار أبي علي النحوي[٩٥]. أما الثالث: أن عاصم ههنا بمعنى معصوم وتقديره لا معصوم من أمر الله إلاّ من رحمه الله. وعليه فالاستثناء متصل، وقد يأتي فاعل بمعنى مفعول كقوله: "في عيشة راضية"[٩٦]أي: مرضية، و "ماءٍ دافق"[٩٧]. قال الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[٩٨]

أي: المكسو[٩٩]. وقال ابن كيسان معللاً معنى عاصم بمعصوم: "لما قال (لا عاصم) كان معناه (لا معصوم)، لأن في نفي العاصم نفي المعصوم"[١٠٠]. وجعل الزمخشري الاستثناء متصلاً على حذف مضاف أي: لا مكان عاصم إلاّ مكان مرحوم[١٠١].

(٩٢) جوامع الجامع ٣ / ٣٨٠.
(٩٣) ينظر الوجيز ١ / ٢٤١.
(٩٤) هود: ٤٣.
(٩٥) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٥ / ٤٩٠.
(٩٦) الحاقة: ٢١، وينظر القارعة: ٧.
(٩٧) الطارق: ٦.
(٩٨) البيت من البسيط وهو للحطيئة ينظر ديوانه تحقيق نعمان طه ـ القاهرة ١٩٥٨ م، ص ٢٨٤.
(٩٩) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٥ / ٤٩٠، ومجمع البيان ٣ / ١٦٢، وجوامع الجامع ٢ / ١٤٧، وكنز الدقائق ٦ / ١٦٩، وبيان السعادة ٢ / ٣٢٨.
(١٠٠) التبيان في تفسير القرآن ٥ / ٤٩٠.
(١٠١) ينظر الكشاف ٢ / ٢٧١، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ١٥، والبحر المحيط ٥ / ٢٢٧.

والذي يبدو للباحث أن القول الثاني أوجه فلا حاجة للتأويل، فليس بعزيز على الله عزّ وجل أن يقول (لا معصوم). وفي قول ابن كيسان حرج كبير فهو يجعل معنى (لا عاصم) (لا معصوم) بسبب النفي، ولكن كان نفي العاصم سبباً في نفي المعصوم، ولو قلنا (لا معصوم من أمر الله) هل معناه (لا عاصم من أمر الله) ؟ وإذا كان كذلك كان معنى (لا عاصم) نفس معنى (لا معصوم) وهذا لا يكون في اللغة، فإن نفي اسم الفاعل غير نفي اسم المفعول ومعلوم أن المشتقات متفاوتة في المعاني إلاّ إذا كانت لغة قوم، ولا يرى الباحث أن معنى (الكاسي) في البيت (المكسو) بل هي بصيغة اسم الفاعل لأن معنى البيت: لا ترحل طلباً للمكارم فأنت كريم وإن كنت قاعداً، فأنت ثابت دائم على الإطعام والكسوة وقد سبقت صيغة اسم الفاعل (الكاسي) صيغة اسم الفاعل (الطاعم) وهذا دليل. وفي قول الزمخشري تكلف لا محوج إليه والله أعلم.

ومن فاعل بمعنى مفعول قوله تعالى: "خلق من ماءٍ دافق"[١٠٢]، أي: مدفوق ومثله شرٌ كاتم و "عيشة راضية"[١٠٣]. جاء في (الكشاف): "ودافق صفة الماء، وهو اسم مفعول بصيغة اسم الفاعل أي: مدفوق مثل "عيشة راضية" أي: مرضية"[١٠٤]. وقال الطوسي في قوله تعالى "فهو في عيشة راضية": "أي: مرضية، ففاعل ههنا بمعنى المفعول لأن معناه ذو الرضا كقولهم (نابل) أي ذو النبل، قال النابغة:

كليني لهمٍ يا أميمة ناصب وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ[١٠٥]

أي: ذو نصب"[١٠٦].

وقيل في "عيشة راضية"، أي: في عيشة راضٍ صاحبها بها فهي وصفٌ بحال المتعلق[١٠٧]. وقال صاحب (الميزان): "وتوصيفها براضية ـ والراضي صاحبها ـ من المجاز العقلي، أو المعنى في عيشة ذات رضا"[١٠٨].

(١٠٢) الطارق: ٦.
(١٠٣) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٣٢٤/١٠، ومجمع البيان ٤٧٠/٥، والبحر المحيط ٤٥٥/٨، وحاشية الشهاب ٨ / ٣٤٧، والكشاف ٤ / ٢٤١، ومعاني القرآن للفراء ٣ / ٢٥٥.
(١٠٤) الكاشف ٧ / ٥٤٨.
(١٠٥) البيت للنابغة وهو من الطويل ينظر ديوانه
(١٠٦) التبيان في تفسير القرآن ١٠ / ٣٩٩، وينظر مجمع البيان ٥ / ٥٣١، وكنز الدقائق ٤ / ٤١٠.
(١٠٧) ينظر بيان السعادة ٤ / ٢٧١.
(١٠٨) الميزان في تفسير القرآن ٢٠ / ٤٩٣.

ويستبعد الباحث التأويل هنا أيضاً فليس بعزيز عليه عزّ وجلّ أن يقول (مدفوق) إنما أراد ـ كما يبدو للباحث ـ أن الماء خاضع لأمر الله على دوام الدفق، فأصبحت هذه صفته مبالغة في الالتزام بها وثباتها له.

وكذا في قوله: "فهو في عيشة راضية" فهو إن أراد عزّ وجلّ أن يقول مرضية لقالها، فقد جاء في التنزيل العزيز قوله تعالى: "ارجعي إلى ربك راضية مرضية"(١٠٩)، فقال (راضية) وقال (مرضية) والسر في ذلك ـ كما يبدو للباحث ـ هو إرادة المبالغة في العطاء فكأن العيشة حوت كل ما يشتهيه المؤمن حتى رضيت. جاء في (التبيان في تقسير القرآن): "فكأن العيشة أعطيت حتى رضيت، لأنها بمنزلة الطالبة كما أن الشهوة بمنزلة الطالبة للمشتهى. وقيل: هو كقولهم ليل نائم، وسر كاتم، وماء دافق، على وجه المبالغة في الصفة من غير قياس في المعنى فعلى هذا جاء "عيشة راضية" ولا يجوز على هذا القياس (زيد ضارب) بمعنى (مضروب) لأنه يلتبس به(١١٠).

٣. مفعول بمعنى فاعل:

جاءت صيغة مفعول بمعنى فاعل في قوله تعالى: " إنه كان وعده مأتيا"(١١١)، مأتيا أي: آتيا "ويجوز في مثل هذا (آتيا) لأن ما أتيته فقد أتاك، وما أتاك فقد أتيته، كما يقال أتيت على خمسين سنة وأتت عليّ خمسون سنة. وقيل معناه إنه كقولك أتيت خير فلان، وأتاني خير فلان "(١١٢). وقيل إن الموعود هو الجنة والجنة مأتية يأتيها المؤمنون(١١٣)، وقيل معناه: كان وعده مفعولاً منجزاً(١١٤). ويبدو للباحث أن الرأي القائل إن الجنة هي الموعودة والجنة مأتية هو الراجح، ويمكن أن يكون قوله (مأتيا) بصيغة المفعول دون الفاعل مبالغة بحصول الإتيان وإنجازه.

(١٠٩) الفجر: ٢٨.
(١١٠) التبيان في تفسير القرآن ١٠ / ١٠١، وينظر مجمع البيان ٥ / ٣٤٥.
(١١١) مريم: ٦١.
(١١٢) التبيان في تفسير القرآن ٧ / ١٣٧، وينظر الكشاف ٢ / ٥١٥، ومجمع البيان ٣ / ٥٢٠، وتفسير القرطبي ١١ / ١٢٦، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ٨٧٧.
(١١٣) ينظر مجمع البيان ٣ / ٥٢٠.
(١١٤) ينظر جوامع الجامع ٢ / ٤٠١.

ومنه قوله تعالى: "وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً"(١١٥)، مستوراً ههنا بمعنى ساتراً عن إدراكه، كما يقال مشؤوم عليهم أو ميمون في موضع شائم ويا من لأنه من شؤمهم ويمنهم، وهو قول أبي علي والزجاج(١١٦)، والأخفش والفاعل قد يكون في لفظ المفعول(١١٧)، وقيل مستورا عن أبصار الناس وهو قول قتادة وقد رجحه الطوسي(١١٨). وقيل هو على بناء النسب لا على أن المفعول بمعنى الفاعل والفاعل بمعنى المفعول، والمعنى حجاباً ذا ستر، وهذا ما رجحه الطبرسي(١١٩).

وقالوا إن المعنى مستوراً عن الحس، أو بحجاب آخر لا يفهمون، ولا يفهمون أنهم لا يفهمون نفى عنهم أن يفهموا ما أُنزل عليهم من الآيات، بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الأنفس والآفاق، تقريراً له وبياناً لكونهم مطبوعين على الضلالة(١٢٠)، جاء في (الميزان): "ظاهر توصيف الحجاب بالمستور أنه حجاب مستور عن الحواس على خلاف الحجابات المتداولة بين الناس المعمولة لستر شيء عن شيء فهو حجاب معنوي مضروب بين النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بما أنه قارٍ للقرآن حامل له، وبين المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة يحجبه عنهم فلا يستطيعون أن يفقهوا حقيقة ما عنده من معارف القرآن ويؤمنوا به ولا أن يذعنوا بأنه رسولٌ من الله جاءهم بالحق"(١٢١). وقيل: إنه من قبيل الحذف والإيصال وأصله حجاباً مستوراً به الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عنهم (١٢٢).

ويظهر للباحث أن قولهم: ساتراً عن إدراكه أي إدراك نفسه، غير صحيح، فقد يصبح بذلك هو ساتر ومستور ولكن بحسب الحقيقة المستور هو ما وراء الحجاب لا نفسه. وقوله تعالى (حجاباً) يكفي أن يكون الحجاب ساتراً فهو يحجب شيئاً عن شيءٍ ولكنه قال (مستوراً) صفة للحجاب، ستره عزّ وجلّ عن رؤية المشركين، فهو على صيغة المفعول ولا داعٍ لهذه التأويلات المتكلفة والله أعلم.

(١١٥) الإسراء: ٤٥.
(١١٦) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٦ / ٤٨٣، والبحر المحيط ٦ / ٤٢، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ٨٢٣، وحاشية الشهاب ٦ / ٣٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢ / ٩١.
(١١٧) ينظر مجمع البيان ٣ / ٤١٨، والميزان ١٣ / ١١٩.
(١١٨) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٦ / ٤٨٣، والميزان ١٣ / ١١٩.
(١١٩) ينظر مجمع البيان ٣ / ٤١٨، وكنز الدقائق ٧ / ٤١٧،
(١٢٠) كنز الدقائق ٧ / ٤١٧، وينظر الميزان ١٣ / ١١٩.
(١٢١) الميزان ١٣ / ١١٩.
(١٢٢) ينظر الميزان ١٣ / ١١٩.

ومنه أيضاً قوله تعالى: "إن تتبعون إلاّ رجلاً مسحوراً"(١٢٣)، أي: ساحراً(١٢٤). وقيل إن معناه: أنكم ليس تتبعون إلاّ رجلاً قد سحر فاختلط عليه أمره، يقولون ذلك للتنفير عنه، كما يقال: سُحِر فلان، فهو مسحور إذا اختلط عقله، وقيل مسحوراً أي: مصروفاً عن الحق، يقال ما سحرك عن كذا أي: ما صرفك(١٢٥). وقيل أي: "أن له ما سحراً أي: رئة، لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو مثلكم، والعرب تقول للجبان: انتفخ سحره، قال لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإنّنا عصافير من هذا الأنام المسحّرِ(١٢٦)

وقال آخر: ونسحر بإطعام وبالشرابِ"(١٢٧).

ويرجح الباحث الرأي الثاني، فهذا ما أراده المشركون للرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذ جاءهم بما لا يؤمنون به فاتهموه بأنه سُحِرَ فجُنَّ فاختلط كلامه. إذ قال الفراء: "تقول العرب للبعير هو مسحور إذا انقطع سيره، وحَسَرَت الدابة إذا انقطعت عن المسير لذهاب قوتها، فشُبِّه حال من أنفق كلّ ماله بمن انقطع في سفره بسبب انقطاع مطيته"(١٢٨).

٤. فَعَل بمعنى مفعول:

ومنه قوله تعالى: "الله الصَمَد"(١٢٩). (الصمد) قيل أن معناه: الذي يُصمد إليه في الحاجات، فيكون فَعَل بمعنى مفعول، أي: مصمود إليه، فحذف الخافض واستتر الضمير(١٣٠). وقيل معناه: السيد المغظم. جاء في معجم (العين): " وفي العربية الصمد: السيد في قومه ليس

(١٢٣) الإسراء ٤٧.
(١٢٤) ينظر مجمع البيان ٣ / ٤١٨، والتأويل النحوي ٢ / ١٤٤٩.
(١٢٥) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٦ / ٤٨٤، ومجمع البيان ٣ / ٤١٨.
(١٢٦) هذا البيت من الطويل وهو للبيد ينظر ديوانه ص ٧١، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦ م.
(١٢٧) التبيان في تفسير القرآن ٦ / ٤٨٤، وينظر مجمع البيان ٣ / ٤١٨، وكنز الدقائق ٧ / ٤٢٥، والبيت الثاني من الوافر وهو لامرئ القيس، وصدره " أرانا موضعين لحتم غيبٍ" وفي الديوان " لأمر غيبٍ ". ينظر ديوانه ص ٦٣ ط ٢، شرح حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
(١٢٨) التفسير الكبير للرازي ٢٠ / ١٩٥، وينظر صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ٢ / ١٦.
(١٢٩) الإخلاص: ٢.
(١٣٠) ينظر التبيان في تفسير القرآن ١٠ / ٤٣٠، ومجمع البيان ٥ / ٥٦٢، وجوامع الجامع ٤ / ٩١١، وتفسير القرطبي ٢٠ / ٢٤٥، وحاشية الشهاب ٨ / ٤١٢، وتفسير ابن كثير ٤ / ٥٧٠.

فوقه أحد، ولا يُقضى أمرٌ دونه، قال: خذها حذيفُ فأنت السيدُ الصمد"[١٣١]. وجاء في (بيان السعادة): "معنى (الصَمْد) و(الصَمَد) بالتحريك: السيد؛ لأن الصَمْد بالسكون بمعنى القصد، والسيد من شأنه أن يقصد، والدائم، والرفيع... خاطب الله ـ سبحانه ـ نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في مقام انسلاخه عن جميع العثرات وجميع الاعتبارات بقوله: قل يا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في ذلك المقام مشيراً إلى الذات بدون اعتبار صفة من الصفات " [١٣٢]. وجاء في (الميزان): " عن الباقر ـ عليه السلام ـ الصمد: السيد المطاع الذي ليس فوقه آمرٌ وناهٍ، وعن الحسين ـ عليه السلام ـ الصمد: الذي لا جوف له، والصمد: الذي لا ينام، والصمد: الذي لم يزل وما يزال، وعن السجاد ـ عليه السلام ـ الصمد: الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، والصمد: الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً، وأزواجاً، وتفرد بالوحدة بلا ضد، ولا شكل، ولا مثل، ولا ند... فالمعاني المختلفة المنقولة عنهم ـ عليهم السلام ـ... لوازمٌ كونه تعالى يُرجع إليه كلّ شيء في كل حاجة فإليه ينتهي الكل من دون أن تتحقق فيه حاجة"[١٣٣].

٥. فَعُول بمعنى مَفْعول:

منه قوله تعالى: "وهو الغفور الودود"[١٣٤]، (الودود) فعول بمعنى مفعول أي: يَوَدُّهُ عبادُه. جاء في (مجمع البيان) قوله: " قال الأزهري في تفسير أسماء الله: يجوز أن يكون (ودود) فعولاً بمعنى مفعول كرَكوب، وحَلوب ومعناه أن عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من فضله وكرمه ولما أسبغ من آلائه ونعمه"[١٣٥]. وقيل هو بمعنى اسم الفاعل أي: وادٍ لعباده ومحب لمنافع خلقه[١٣٦]. والذي يبدو للباحث أنه تعالى ما أراد معنى (مفعول) إنما أراد معنى اسم الفاعل بصيغة المبالغة كنايةً عن كثرة ودّه لخلقه كضروب وشغوف والله أعلم.

---

(١٣١) العين (صمد)، والبيت من البسيط وهو للخليل بن أحمد الفراهيدي، وصدره " يممته الرمح شزراً ثم قلت له ". وينظر الصحاح (صمد)، ولسان العرب (صمد) والتبيان في تفسير القرآن ١٠ / ٤٣٠، ومجمع البيان ٥ / ٥٦٢.

(١٣٢) بيان السعادة ٤ / ٢٨١.

(١٣٣) الميزان ٢٠ / ٥٤٧، وينظر الكشاف ٧ / ٦٢٢.

(١٣٤) البروج: ١٤.

(١٣٥) مجمع البيان ٥ / ٤٦٦، وينظر البحر المحيط ٨ / ٤٥٢، وحاشية الشهاب ٨ / ٣٤٤، وتفسير القرطبي ١٩ / ٢٩٦.

(١٣٦) ينظر التبيان في تفسير القرآن ١٠ / ٣٢٠، ومجمع البيان ٥ / ٤٦٦ ٥، والبحر المحيط ٨ / ٤٥٢، وكنز الدقائق ١٤ / ٢١٩.

٦. أفْعَل بمعنى فاعل وفعيل:

من ذلك قوله تعالى: "قال إنّي أعلم ما لا تعلمون"(١٣٧). يجوز في (أعلم) أن يكون فعلاً مضارعاً، فيكون الاسم الموصول مفعولاً به، وهو الظاهر، وقيل إنه (أفعَل) تفضيل على حذف المفضل عليه، أي: منكم، ويكون الاسم الموصول منصوباً بفعل محذوف يدّل عليه (أعلَمُ) لأن أفعل التفضيل لا يأخذ مفعولاً صريحاً(١٣٨). وأجاز مكي ابن أبي طالب(١٣٩)، أن يكون (أفْعَل) التفضيل مؤولاً باسم الفاعل أي (عالم)، وهو قول غير مقبول عند أبي حيان(١٤٠)، وقد تبع مكي في ذلك أبو عبيدة، وهو عند أبي حيان من النحويين الضعفاء، وقد ذهب إليه أيضاً القرطبي(١٤١).

ويرى الباحث أن القول بـ(أفعل) تفضيل غير وجيه فإنه يتطلب اشتراكا في العلم، فقد يشترك اثنان في شيء ويزيد أحدهما على الآخر به فيفضل بهذه الزيادة، وعلى هذا القول يكون الملائكة قد اشتركوا مع الله في العلم وزاد الله ـ جل علاه ـ عليهم به ففُضّل، وهذا المعنى يستبعده الباحث.

وكذا التأويل باسم الفاعل بعيد فلو أراده الله لقال (عالم بما لا تعلمون)، فهناك فرق بين اسم الفاعل والفعل في المعنى: اسم الفاعل يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحدوث والتجدد وهو ما أراده الله إخباراً للملائكة بأنه يعلم مستقبل آدم وما يكون منه، ولا داعٍ لهذه التأويلات والله أعلم.

ومن (أفعَل) بمعنى (فعيل) قوله تعالى: "وبعولتهن أحق بردهن في ذلك"(١٤٢)، قيل إن (أحقّ) ليس فيه معنى التفضيل لأن غير الأزواج لاحقّ لهم فيهن ولا حق للنساء في ذلك، وتقدير الكلام: حقيقون بردهن(١٤٣).

---

(١٣٧) البقرة: ٣٠، وينظر شاهد آخر في سورة النجم آية ٣٠.
(١٣٨) ينظر التأويل النحوي ٢ / ١٤٥٠.
(١٣٩) ينظر مشكل إعراب القرآن ١ / ٣٥.
(١٤٠) ينظر البحر المحيط ١ / ١٤٤.
(١٤١) ينظر تفسير القرطبي ١ / ٢٧٨، وينظر الدر المصون ورقة ٢١١، وشرح المفصل لابن يعيش ٦ / ٩٧، والتأويل النحوي ٢ / ١٤٥٠.
(١٤٢) البقرة ٢٢٨.
(١٤٣) ينظر الدر المصون ورقة٨١٣، والوجيز١/١٨٧، وكنز الدقائق٢/٣٤١، والتأويل النحوي٢/١٤٥٠.

وأقرّ آخرون معنى التفضيل يعني: أن أزواجهن أولى بمراجعتهن وهي ردّهن إلى الحالة الأولى في ذلك الأجل الذي قدّر لهن في مدة العدة فإنه ما دامت تلك المدة باقية كان للزوج حق المراجعة ويفوت بانقضائها، وهم أولى من سائر الخطاب(١٤٤). وجاء في (الميزان) قوله: "ولفظ (أحق) اسم تفضيل حقه أن يتحقق معناه دائماً مع مُفضل عليه كأن يكون للزوج الأول حق في المطلقة ولسائر الخطاب حق، والزوج الأول أحق بها لسبق الزوجية، غير أن الرد المذكور لا يتحقق معناه إلاَ مع الزوج الأول. ومن هنا يظهر أن في الآية تقديراً لطيفاً بحسب المعنى، والمعنى "وبعولتهن أحق بردهن" أحق بهن من غيرهم ويحصل ذلك بالرد والرجوع في أيام العدة، وهذه الأحقية إنما تتحقق في الرجعيات دون البائنات التي لا رجوع فيها، وهذه هي القرينة على أن الحكم مخصوص بالرجعيات لا أن ضمير بعولتهن راجع إلى بعض المطلقات بنحو الاستخدام أو ما أشبه ذلك "(١٤٥).

ويرى الباحث أنه لا وجود لمفضل عليه، فالزوج أيام عدة المرأة لا يشاركه أحدٌ في الرد حتى يفضل الزوج الحالي عليه، لا زوج سابق ولا خاطب حتى تنقضي العدة. والمعنى ـ كما بدا للباحث ـ إذا أمكن أن يكون مفضول فبعولتهن أفضل وهو من باب التوكيد والمبالغة في قوة حقهم في الرد.

يقول الدكتور فاضل السامرائي: "قالوا ويقصد باسم التفضيل تجاوز صاحبه وتباعده عن الغير في الفعل لا بمعنى تفضيله بالنسبة إليه بعد الماركة في أصل الفعل، بل بمعنى أن صاحبه متباعدٌ في أصل الفعل متزايدٌ إلى كماله فيه على وجه الاختصار فيحصل كمال التفضيل.

وهذا الكلام حقٌ، فإن اسم التفضيل قد يستعمل لا لتفضيل شيء على شيء آخر معين، بل قد يراد به مجرد الزيادة في أصل الوصف وذلك كقوله تعالى: " ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه "(١٤٦)، فليس المقصود هنا التفضيل على شيء معين، بل المقصود أن يقربوا مال اليتيم بمزيد الحسن "(١٤٧).

المبحث الثاني. تأويل الجامد بالمشتق:

(١٤٤) ينظر مجمع البيان ١ / ٣٢٥، وبيان السعادة ١ / ٢٠١.
(١٤٥) الميزان ٢ / ٢٤١، وينظر مواهب الرحمن ٤ / ٦.
(١٤٦) الإنعام: ١٥٢.
(١٤٧) معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي ٤ / ٦٨٥.

١. في اقتضاء المعنى له:

وفي التنزيل من ذلك كثيرٌ، منه قوله تعالى: "وأنزل الفرقان"(١٤٨). قيل إن (الفرقان) مصدر فرق بمعنى الفارق المفصِل أو المفروق بمعنى المفصَل(١٤٩)، ويجوز أن يكون في الكلام مضاف محذوف أي: ذا الفرقان(١٥٠).

الذي يبدو للباحث أنه عزّ وجل قال (الفرقان) ولم يقل (المفروق) أو (الفارق) أو (ذا الفرقان) على ما أوّله العلماء، هو أنه أراد هذه المعاني مجتمعةً، فهو الذي يفرق به عزّ وجلّ بين الحق والباطل فهو مفروق، وهو بالتالي يفرق بين الحق والباطل فهو الفارق، وهو يتّصف بأنه يفرق بين الحق والباطل فهو ذو فرقان، والله أعلم.

ومنه قوله تعالى: "ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله"(١٥١)، أي: بالمُؤمَن به، فهو مصدر موضوع موضع المفعول به(١٥٢)، جاء في (التبيان في تفسير القرآن): "فإن قيل ما معنى" ومن يكفر بالإيمان "قيل: الإيمان هو الإقرار بتوحيد الله وصفاته وعدله، والإقرار بالنبي ـ صلى اله عليه وآله وسلم ـ وما جاء به من عند الله، فمن جحد ذلك أو شيئاً منه كان كافراً بالإيمان"(١٥٣). وقال مجاهد: "معناه من يكفر بالله"(١٥٤)، ويجوز أن يكون في الكلام حذف مضاف أي: بموجب الإيمان(١٥٥).

والظاهر عند الباحث أن ما جاء به صاحب التبيان هو الراجح، فإن الإقرار بتوحيد الله وصفاته وعدله والتصديق بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يكون هو الإيمان، وإن الإيمان بشيء من هذه دون الباقي يكون كفراً، وقد أراد ـ عزّ وجلّ ـ كما بدا للباحث ـ أن يجمع الإيمان بكل هذه المفعولات ليجعله هو الإيمان الشامل والله أعلم.

---

(١٤٨) آل عمران: ٤.
(١٤٩) ينظر التبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٣٧، والكاشف ٢ / ٧، وبيان السعادة ١ / ٢٤٥، والتأويل النحوي ٢ / ١٤٥١.
(١٥٠) ينظر التبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٣٧، والتأويل النحوي ٢ / ١٤٥١.
(١٥١) المائدة: ٥.
(١٥٢) ينظر التبيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٤٢١، والتأويل النحوي ٢ / ١٤٥١ ز
(١٥٣) التبيان في تفسير القرآن ٣ / ٤٤٤، وينظر مجمع البيان ٢ / ١٦٢.
(١٥٤) ينظر التبيان في تفسير القرآن ٣ / ٤٤٤.
(١٥٥) ينظر التأويل النحوي ٢ / ١٤٥١.

ومنه قوله تعالى: "وكان أمر الله مفعولا"(١٥٦)، أي: وكان مأمور الله مفعولا، وعليه فالمصدر مؤول باسم المفعول(١٥٧). جاء في (التبيان في تفسير القرآن) قوله: "قيل في معناه قولان: أحدهما: أن كل أمر من أمور الله من وعدٍ أو وعيدٍ أو مخبر فإنه يكون على ما أخبر به، ذكره الجبائي. الثاني: أن معناه... الذي يأمر به بقوله (كن)"(١٥٨).

ويرى الباحث أن رأي الجبائي هو الراجح.

ومنه قوله تعالى: "قد أُتيت سُؤلك يا موسى"(١٥٩)، سؤلك: معناه مسؤولك، فعل في معنى مفعول كالخبز والأكل بمعنى المخبوز والمأكول أي: أُتيت مطلوبك؛ لأن السؤال معناه الطلبة(١٦٠).

ولا يرى الباحث أن سؤلك على معنى اسم المفعول لأن المعنى حينئذ يختلف، فالمسؤول هو المطلوب، أما السؤل من التسويل وهو تحسين الشيء وتزيينه، فكأن موسى ـ عليه السلام ـ حسّن مطلبه وزيّنه. جاء في (لسان العرب): "التسويل: تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله... وكأن السويل تفعيلٌ من سول الإنسان، وهو أمنيته أن يتمناها... وأصل السول مهموز عند العرب، استثقلوا ضغطة الهمزة فيه فتكلموا به على تخفيف الهمز... والدليل على أن أصل السول همزٌ قراءة القرّاء قوله عزّ وجلّ: " قد أوتيت سؤلك يا موسى، "أي: أُعطيت أمنيتك التي سألتها"(١٦١). ومنه قوله تعالى: "هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ظلال مبين"(١٦٢). قيل أن قوله (خلق) معناه (مخلوق)، أو مخلوق الله(١٦٣).

ويبدو للباحث أنه عزّ وجلّ ما أراد معنى اسم المفعول بل أراد معنى المصدر لأن "الخلق في كلام العرب: إبداع الشيء على مثال لم يسبق إليه، وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سُبق إليه... قال أبو بكر الأنباري: الخلق في كلام العرب على وجهين: أحدهما

(١٥٦) النساء: ٤٧.
(١٥٧) ينظر الدرّ المصون ورقة ١٧٠٤، وتفسير القرطبي ٥ / ٢٤٥، والتأويل النحوي ٢ / ١٤٥٢.
(١٥٨) التبيان في تفسير القرآن ٣ / ٢١٥، وينظر مجمع البيان ٢ / ٥٥، والكاشف ٢ / ٣٤٠.
(١٥٩) طه ٣٦.
(١٦٠) ينظر جوامع الجامع ٢ / ٤٢٠، وكنز الدقائق ٨ / ٣١٠.
(١٦١) لسان العرب (سول).
(١٦٢) لقمان: ١١.
(١٦٣) ينظر جوامع الجامع ٣ / ٢٧٨، وبيان السعادة ٣ / ٢٢٧.

الإنشاء على مثال أبدعه، والآخر التقدير"[١٦٤]. والدليل على ذلك سياق الآية فإنه عزّ وجلّ يحاجج الظالمين في بدء الخلق وإبداعه وسبقه على غير مثال.

٢. **تأويل الحال المصدر**:

في التنزيل فيض غزير من المصادر التي جاءت أحوالاً، وقد ذهب سيبويه والبصريون[١٦٥]، أن المصدر إذا وقع حالاً أُوّل بمشتق. وأجاز بعضهم كونه جامداً في مواضع مبسوطة في (همع الهوامع)[١٦٦]. وذكر السيوطي[١٦٧]، أن البصريين والكوفيين أجمعوا على أنه لا يستعمل من ذلك إلاّ ما استعملته العرب. وهو عند المبرد مقيس فيما كانت الحال فيه نوعاً من عاملها، فال في (المقتضب): "ولو قلت (جئته عطاءً) لم يجز لأن الإعطاء ليس من المجيء، ولكن (جئته سعياً) فهذا جيد لأن المجيء يكون سعياً"[١٦٨]. ومن ذلك قوله تعالى: وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً"[١٦٩]. في نصب (جهرةً) أقوال: فقد قيل إنه انتصب لأنه نوع من الرؤية فنصب بفعله كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس، أو على الحال بمعنى (ذوي جهرة)[١٧٠]. جاء في (الوجيز): "جهرةً: عيناً وهي مصدر جهر بالقراءة أستعيرت للمعاينة. نصب على المصدر، لأنها نوع الرؤية، أو الحال من الفاعل أو المفعول"[١٧١]. وقيل هو صفة لمصدر محذوف أي: رؤيةً جهرةً[١٧٢]، أو يكون منصوباً بفعل محذوف من لفظه[١٧٣]. وقال بعضهم إن قوله (جهرة) صفة لخطابهم لموسى أنهم جهروا به وأعلنوه وتقديره: وإذ قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله[١٧٤]. وجاء في (كنز الدقائق): "وقُرئ (جهَرة) بالفتح على أنه مصدر كالغَلبة، أو جمع جاهر كالكَتَبة فيكون حالاً"[١٧٥].

---

(١٦٤) لسان العرب (خلق).
(١٦٥) ينظر الكتاب ١ / ٣٦٠، ٣٧٠ ـ ٣٧٦، ٣٩١ ـ ٣٩٧، وهمع الهوامع ٤ / ١٥.
(١٦٦) همع الهوامع ٤ / ٩.
(١٦٧) ينظر همع الهوامع ٤ / ١٥.
(١٦٨) المقتضب ٣ / ٢٣٤، وينظر معاني النحو ٢ / ٧١٩.
(١٦٩) البقرة: ٢٥.
(١٧٠) ينظر جامع الجوامع ١ / ٤٧، وينظر صدر المتألهين ٣ / ٤٠٥.
(١٧١) الوجيز ١ / ١١٠، وينظر كنز الدقائق ١/ ٤٣٩.
(١٧٢) ينظر البحر المحيط ١ / ٢١١، والدر المصون ورقة ٣٠٢.
(١٧٣) ينظر البحر المحيط ١/ ٢١١، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٨٣، وتفسير القرطبي١/ ٤٠٤.
(١٧٤) ينظر مجمع البيان ١ / ١١٤، وكنز الدقائق ١/ ٤٣٩.
(١٧٥) كنز الدقائق ١/ ٤٣٩، وينظر الجوهر الثمين ١/ ١٠٠.

ومنه قوله تعالى: "ودّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم"(١٧٦). قيل في (حسداً) إنه نصب على الجملة التي قبله بدلاً من الفعل كأنه قال حسدوكم حسداً أو بفعل مضمر، أو يكون مفعولاً له كأنه قال يريدونكم لأجل الحسد كما نقول (جئته خوفاً منه)، ويجوز أن يكون حالاً على تأويله بمشتق أو حذف مضاف(١٧٧).

ومنه قوله تعالى: "ولا تُؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً"(١٧٨): (قياما) مفعول ثان لفعل الجعل، ويجوز أن يكون حالاً على أن (جعل) بمعنى (خلق)(١٧٩). ومنه قوله تعالى: "إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار"(١٨٠)، وقوله "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانيةً"(١٨١)، وقوله: "وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً"(١٨٢)، وقوله: "وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً"(١٨٣)، وقوله: "حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً"(١٨٤). كل هذه المصادر جاءت أحوالاً مؤولة بمشتق أي: زاحفين، ومسرين ومعلنين، وطائعين وكارهين، وصادقة وعادلة، وكارهة(١٨٥).

ورأي المبرد أسوغ من رأي النحاة وذلك لأنه كثير والكثرة تحول القياس عليها. وقد يعرض هنا سؤال وهو: لمَ يعدل العرب عن الوصف إلى المصدر أحياناً؟ وهل لذلك غرض؟(١٨٦). وقال الدكتور فاضل السامرائي: "الحق أنه لا يعدل من تعبير إلى تعبير إلاّ ويصحبه عدول من معنى إلى معنى، فقولك (أقبل ركضاً) وإن كان في التأويل (أقبل راكضاً) لا يطابقه في المعنى. وإنما يعدل من الوصف إلى المصدر لغرضين، الأول: المبالغة، فإن المصدر هو الحدث المجرد، والوصف هو الحدث مع الذات فـ (ساعياً) في قولك (أقبل أخوك ساعياً) يدل على الحدث وذات الفاعل أما المصدر فهو الحدث المجرد من الذات والزمن ولذا يمتنع الإخبار بالمصدر عن الذات

(١٧٦) البقرة: ١٠٩.
(١٧٧) ينظ التبيان في تفسير القرآن ١ / ٤٠٥، والبحر المحيط ١ / ٣٤٨، وتفسير ابن عطية ١ / ٣٨٩، وبيان السعادة ١ / ١٣٥، والتأويل النحوي ٢ / ١٤٥٦.
(١٧٨) النساء: ٥.
(١٧٩) ينظر الدر المصون ورقة ١٥٨٦، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٣٣٩، ٣٣١.
(١٨٠) الأنفال: ١٥.
(١٨١) البقرة: ٢٧٤.
(١٨٢) آل عمران: ٥٣.
(١٨٣) الأنعام: ١١٥.
(١٨٤) الأحقاف: ١٥.
(١٨٥) ينظر معاني النحو ٢ / ٧١٩.
(١٨٦) معاني النحو ٢ / ٧١٩.

لا تقول (محمد سعيٌ) ولا (هو ركض)، بل تقول (محمد ساعٍ) و (هو راكض)، فإن قلت (أقبل أخوك سعياً) كان المعنى أن أخاك تحوّل إلى سعي ولم يبق فيه شيء من عنصر الذات، لم يبق فيه ما يثقله من عنصر المادة بل تحول إلى حدث مجرد وهذا مبالغةً. وكذلك قولك (أقبل ركضاً) معناه أنه تحول إلى ركض عند إقباله، ومثله قوله تعالى: " ثمّ ادعهن يأتينك سعياً"(١٨٧)، فقد قال (سعياً) ولم يقل (ساعيات)... ولذا يمنع النحاة قياس وقوع المصدر حالاً لأنه يلزم الإخبار بالمعنى عن الذات... والحق أنه إذا أراد المبالغة فلا ما مانع من ذلك بل ينبغي أن يقوله في موطنه فهذا تعبير، والوصف تعبير آخر. ووقوع المصدر تعبير مجازي أما الوصف فهو تعبير حقيقي وكلاهما مراد وله موطنه.

أما الثاني: التوسع في المعنى وذلك أنك إذا عبرت بالوصف فقد أردت معنًى واحداً فإذا قلت (جاء خالد ماشياً) كان (ماشياً) حالاً ليس غير، ولكن إذا عبرت بالمصدر إتسع المعنى وكسبت أكثر من قصد وغرض فقد تكسب معنى المصدرية والحالية كقولك (أقبل ركضاً) فهذا يحتمل المفعولية المطلقة أي: يركض ركضاً أو إقبال ركض أياً كان التقدير، ويحتمل الحالية، فقد كسبت معنيين وأنت تريدهما. وقد يحتمل الحالية والمفعولية لأجله والمفعولية المطلقة فتكسب ثلاثة أغراض في تعبير واحد.

ومنه قوله تعالى: "وادعوه خوفاً وطمعاً"(١٨٨)، فلو قال (ادعوه خائفين وطامعين) لكان المعنى واحداً هو الحالية ولكن بعدوله إلى المصدر اتّسع المعنى وأصبح يؤدي ثلاثة معانٍ في آن واحد وهي الحالية أي خائفين، والمفعول لأجله أي: للخوف والطمع، والمفعولية المطلقة أي: تخافون خوفاً وتطمعون طمعاً أو دعاء خوفٍ وطمعٍ، وهذه المعاني كلها مرادة فإننا ينبغي أن ندعو ربنا ونحن في حالة خوف وندعوه للخوف والطمع وندعوه ونحن نخاف خوفاً ونطمع طمعاً فجمعها ربنا في تعبير واحد بعدوله من الوصف إلى المصدر"(١٨٩).

المصدر هو الحدث المجرد فلا يخبر به عن اسم الذات فلا يصح أن تقول (زيدٌ إنطلاقٌ) و (محمدٌ ركضٌ) و (خالدٌ بكاءٌ) لأن زيداً ليس انطلاق انطلاقاً ومحمداً ليس ركضاً وخالداً ليس بكاءً. ولكن قد ورد في اللغة إخبار من هذا القبيل كقوله تعالى: " ودّوا لو تكفرون كما كفروا

(١٨٧) البقرة ٢٦٠.
(١٨٨) الأعراف: ٥٦.
(١٨٩) معاني النحو ٢/ ٧٢٠ - ٧٢٢. وينظر شواهد أخرى جاءت المصادر فيها أحوالاً: الإسراء ٩٤، والحجر ٤٥، والنساء ٥.

فتكونون سواءٌ "[١٩٠] أي: (مستوين)[١٩١] أو(سواءً في الظلال)، وهو عطف على (تكفرون) ولو نصب على جواب التمني لجاز"[١٩٢]

٣. تأويل المصدر المخبر به عن الذات:

ومنه قوله تعالى: "إنّ صلاتك سكنٌ لهم"[١٩٣]، أي مسكونٌ إليها، تسكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم[١٩٤]. جاء في (بيان السعادة): إن صلاتك "سبب سكونهم واطمئنانهم، ونكّر السكن للإشارة إلى أنه نوع سوى ما يعرفه الناس، فإن الزوج سكن والمال والمسكن والأولاد كلها سكن وكذا ذكر الله سكن"[١٩٥]. ومنه قوله تعالى: "ونبئهم أن الماء قسمة بينهم"[١٩٦]، أي: مقسوم بينهم[١٩٧]. قال صاحب (الميزان): "والقسمة بمعنى المقسوم... والمعنى وخبرهم بعد إرسال الناقة أن الماء مقسوم بين القوم وبين الناقة"[١٩٨].

ومنه قوله تعالى: "إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح"[١٩٩]، وقوله عزّ وجلّ: "أصبح ماؤكم غورا"[٢٠٠]. من العلماء من يعد هذا مما حذف منه المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه[٢٠١]، جاء في (الخصائص): "فإذا قيل (رجلٌ عدلٌ) فكأنه وصف بجميع الجنس مبالغة كما تقول استولى على الفضل و حاز جميع الرياسة والنبل ولم يترك لأحدٍ نصيباً في الكرم والجود

(١٩٠) النساء ٨٩.
(١٩١) التبيان في إعراب القرآن ١ / ٣٧٨.
(١٩٢) كنز الدقائق ٣ / ٤٩٥.
(١٩٣) التوبة: ١٠٣.
(١٩٤) ينظر جوامع الجامع ٢ / ٨٢، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ٦٥٩، وكنز الدقائق ٥ / ٥٢٩، والجوهر الثمين ٣ / ١١٤.
(١٩٥) بيان السعادة ٢ / ٢٧٦.
(١٩٦) القمر: ٢٨.
(١٩٧) ينظر التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٩٥، والكشاف ٤ / ٤٠.
(١٩٨) الميزان ١٩ / ٩٠، وينظر الجوهر الثمين ٦ / ١٢١، وكنز الدقائق ١٢ / ٥٤٥.
(١٩٩) هود: ٤٦.
(٢٠٠) الأنبياء:٣٧.
(٢٠١) ينظر المقتضب ٣ / ٢٣٠، ودلائل الإعجاز ص ٢٨٨..

ونحو ذلك. فوصف بالجنس أجمع تمكيناً لهذا الموضع وتوكيداً... وأقوى التأويلين في قولها: فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ[٢٠٢].

أن يكون من هذا أي: ذات إقبال وذات إدبار"[٢٠٣]. وقال في قوله تعالى: "إن أصبح ماؤكم غورا: "فإنما ساغ ذلك لأنه أراد المبالغة وأن يجعله هو نفس الحدث لكثرة ذلك منه"[٢٠٤]. وجاء في (الكشاف) في قوله تعالى: "إنه عمل غير صالح": "وجُعِلت ذاته عملاً غيرَ صالح مبالغةً في ذمه"[٢٠٥]. وقال الدكتور فاضل السامرائي: "والراجح أن هذا الضرب فينا أرى ليس من باب المضاف ولا من تأويل المصدر بالوصف وإنما هو ضرب آخر من الكلام وافتنان فيه بقصد المبالغة"[٢٠٦].

٤. تأويل المصدر الموصوف به:

ومنه قوله تعالى: "وجاءوا على قميصه بدمٍ كذبٍ"[٢٠٧]، أي: بدمٍ مكذوبٍ فيه، كما قيل (الليلة الهلال) فيرفع، وكما قال تعالى: "فما ربحت تجارتهم"[٢٠٨]، أي: ما ربحوا في تجارتهم، إلاّ أنه وصف بالمصدر وتقديره بدمٍ ذي كذبٍ، ولكن إذا بولغ في الصفة أُجري على هذه الصفة"[٢٠٩]. وروي عن عائشة أنها قرأت (بدمٍ كدبٍ) بالدال أي: دم طري[٢١٠]، وقرئ بالنصب على الحال من الواو أي: جاءوا كاذبين[٢١١]، أو كاذب، أو مكذوب، أو وصف بالمصدر للمبالغة.

---

(٢٠٢) هذا عجز بيت للخنساء وصدره (ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت) وهو من البسيط ةينظر ديوان الخنساء ص ٨٨.
(٢٠٣) الخصائص ٢ / ٢٠٢ ـ ٢٠٣.
(٢٠٤) الخصائص /٣ / ١٨٩.
(٢٠٥) الكشاف ٣ / ١٠١.
(٢٠٦) معاني النحو ١ / ٢١٢.
(٢٠٧) يوسف: ١٨.
(٢٠٨) البقرة: ١٦.
(٢٠٩) التبيان في تفسير القرآن ٦ / ١١١، وينظر مجمع البيان ٣ / ٢١٥، وكنز الدقائق ٦ / ٢٨٦.
(٢١٠) ينظر مجمع البيان ٣ / ٢١٥، وكنز الدقائق ٦ / ٢٨٦.
(٢١١) ينظر كنز الدقائق ٦ / ٢٨٦.

ووصف الدم بالكذب باعتبار أنه خلاف ما أظهروه"[٢١٢]. وقيل أصله البياض الخارج على أظفار الأحداث، فشبه به الدم اللاصق على القميص"[٢١٣].

ويرى الباحث أنه وصف بالمصدر مبالغة، جاء في (الخصائص): "إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إيّاه ويدل على أن هذا معنًى لهم ومتصور في نفوسهم قوله:

ألا أصبحت أسماء جاذمة الحبل وظنت علينا والظنين من البخل[٢١٤]

أي: كأنه مخلوق من البخل لكثرة ما يأتي به منه"[٢١٥].

وجاء في (الكشاف) أي: " ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كمل يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته "[٢١٦].

٥. **فيما ظاهره أنه مفعول مطلق**:

من ذلك قوله تعالى: "فمن شرب منه فليس مني ومن لم يُطعَمْهُ فإنه منّي إلاّ من اغترف غرفة بيده..."[٢١٧]. اختلفوا في إعراب (غرفة)، فمنهم من قال هي بضم الغين مفعول مطلق والمفعول به محذوف أي: ماءً، ويجوز أن يكون (غُرفة) مفعولاً به على أنه مؤول باسم المفعول أي: وإن غرفت المغروف[٢١٨].

جاء في (التبيان في تفسير القرآن): "والغَرفة بالفتح المرة من الغرف. والغُرفة بالضم ملء الكف من الماء، فالغرفة اسم للماء المغروف، والغَرفة اسم للفعل. وقال بعضهم: الاختيار الضم لأنه لو جاء على معنى المرة لكان اغترافةً. وهذا ليس بشيء لأنه إذا كان المعنى واحداً جاز اغترافةً، لأنه الأصل، وجاز غَرفةً لأنه أخف، وكلاهما حسن"[٢١٩]. وقال الطبرسي: "قرأ

(٢١٢) بيان اليعادة ٢ / ٣٥٠.
(٢١٣) كنز الدقائق ٦ / ٢٨٦.
(٢١٤) البيت من الطويل بحثت عنه ولم أهتد لقائله.
(٢١٥) الخصائص ٣ / ٢٥٩ ـ ٢٦٠، وينظر معاني النحو ١ / ٢٠٨.
(٢١٦) الكشاف ٢ / ١٢٧، وينظر التفسير الكبير ٣ / ١٦٧.
(٢١٧) البقرة ٢٤٩.
(٢١٨) ينظر البحر المحيط ٢ / ٢٦٥، وينظر التأويل النحوي ٢ / ١٤٥٩.
(٢١٩) التبيان في تفسير القرآن ٢ / ٢٩٤، وينظر بيان السعادة ١ / ٢١٥.

ابن كثير وأبو عمرو وأهل المدينة (غرفةً) بالفتح والباقون بالضم... قال أبو علي من فتح الغين عدّى الفعل إلى المصدر والمفعول في قوله محذوف والمعنى إلاّ من اغترف ماءً غَرفة، ومن ضم الغين عدّى الفعل إلى المفعول به، لم يعدّه إلى المصدر لأن الغُرفة العين المغترفة فهو بمنزلة إلاّ من اغترف ماءً، والبغداديون يجعلون هذه الأسماء المشتقة من المصادر بمنزلة المصادر ويعملونها كما يعملون المصادر فيقولون (عجبت من دهنك لحيتَك) وقد جاء من العرب ما يدل عليه وهو قول الشاعر: وبعد عطائك المئة الرتاعا[٢٢٠].

فعلى هذا يجوز أن ينصب (الغُرفة)، وقد قال سيبويه في نحو الجلسة والركبة إنه قد يستغنى بها عن المصادر، أو قال تقع مواقعها وهذا كالمقارب لقولهم ولو قيل إن الضم هنا أوجه لقوله فشربوا منه والمشروب منه الغَرفة لكان قولاً "[٢٢١].

ويرجح الباحث القول بالضم ويرى أن لا داعٍ للتأويل باسم المفعول فالغُرفة بالضم اسم للمفعول ولم يقل المغروف لأنه أراد ـ كما يبدو للباحث ـ تحديد الكمية من الماء فالغُرفة ملء اليد من الماء، والمغروف اسم للمفعول من دون تحديد للكمية. قال الجوهري: "غرفت الماء بيدي غَرفاً واغترفت منه والغَرفة المرة الواحدة. والغُرفة بالضم: اسم للمفعول منه لأنك ما لم تغرفه لا تسميه غُرفة"[٢٢٢]. وجاء في (لسان العرب): "غُرفة قراءة عثمان ومعناه الماء الذي يُغترف نفسه وهو الاسم. والغَرفة المرة من المصدر، ويقال الغُرفة بالضم ملء اليد"[٢٢٣].

ومنه قوله تعالى: "من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً"[٢٢٤]. (قرضاً) نائب عن المصدر لأنه اسم مصدر عند النحويين على أن مفعول الفعل محذوف أي: مالاً، ويجوز أن يكون (قرضاً) مفعولاً به على أنه مؤول باسم المفعول أي: المقروض[٢٢٥]. جاء في (الكاشف): "(قرضاً) مفعول مطلق، ويجوز أن يكون مفعولاً به بمعنى المال المقروض"[٢٢٦].

---

(٢٢٠) البيت من الوافر وهو للقطامي عمير بن شييم، ينظر ديوانه تحقيق ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٠ م، ص ٣٧.
(٢٢١) مجمع البيان ١ / ٣٥٤.
(٢٢٢) الصحاح (غرف).
(٢٢٣) لسان العرب (غرف).
(٢٢٤) البقرة ٢٤٥.
(٢٢٥) ينظر البيان في غريب إعراب القرآن ١ / ١٦٤، وينظر التبيان في إعراب القرآن ١ / ١٩٤، والبحر المحيط ٢ / ٢٥٢، والتأويل النحوي ٢ / ١٤٥٩.
(٢٢٦) الكاشف ١ / ٣٧٤، وينظر كنز الدقائق ٢ / ٣٧٦.

ويبدو للباحث أنه مفعول مطلق والمفعول محذوف تقديره (مالاً) وهو يغنينا عن التأويل المتكلف والله أعلم.

الخاتمة

أهم ما انتهى إليه البحث ما يأتي:

١. توضيح المعنيين اللغوي والاصطلاحي للفظتي التأويل والتفسير،وبيان الفرق الدقيق بينهما. وظهر أن هذه اللفظة (التأويل) قد تسربت إلى مؤلفات النحو المختلفة ومؤلفات إعراب القرآن من كتب المفسرين؛ لأن ما تحمله من معنى يكاد يدور في فلك حمل النص القرآني على غير ظاهره. وأن لابن عباس وغيره من المفسرين دوراً بارزاً في حركة التأويل النحوي المبكرة.

٢. ومما انتهى إليه هذا البحث هو أن العلماء لم يعطوا أهمية للمعنى والتركيز عليه في تأويلاتهم ومناقشة الفروق المعنوية بين الألفاظ الأصلية والمتأولة، ولم يناقشوا سبب عدم استعمال القرآن للّفظ المُتأوَّل، أو سبب استعمال اللفظ الأصلي دون المتأول، ولو كان ذلك لتخلوا عن الكثير من تأويلاتهم.

٣. انتهى هذا البحث إلى أن العلماء تكلفوا كثيراً وتمحلوا في تأويلاتهم، وكان الكوفيون أقلّ تكلفاً من البصريين الذين كما يبدو أن النص القرآني يخالف ظاهرُه أُصولَهم.

٤. وانتهى هذا البحث في كل مبحث من مباحثه إلى مذهب يدور في فلك ظاهر النص القرآني ومعناه هاجراً التأويلات والتخمينات التي لا ضرورة إليها، ولقد عزز الباحث هذا المذهب بما في التنزيل من شواهد في كثير من المواطن.

المصادر

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.

٣ـ البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢ عيسى البابي الحلبي.

٤ـ بيان السعادة في مقامات العبادة لسلطان محمد الجنابذي، طهران، مطبعة جامعة طهران، ط٢، ١٣٨٥ هـ.

٥ـ البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات بن الأنباري ن تحقيق طه عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م، دار الكتاب العربي للطباعة والنر في القاهرة.

٦ ـ التأويل النحوي في القرآن الكريم، لعبد الفتاح الحموز، ط١، مكتبة الرشد ـ الرياض ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

٧ـ التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي.

٨ـ التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطوسي، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الأمين، النجف الأشرف.

٩ـ تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم) لأبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

١٠ـ تفسير سورة الحمد للسيد محمد باقر الحكيم، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ط٢، ١٤٢٥ هـ.

١١ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ط٣، دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ م.

١٢ـ التفسير الكبير للفخر الرازي، ط٢، دار الكتب العلمية ـ طهران.

١٣ـ الجديد في تفسير القرآن للشيخ محمد السبزواري النجفي(م ١٤١٠هـ) بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط١، ١٤٠٢ هـ.

١٤ـ جوامع الجامع لأمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (م ٥٤٨ هـ) طهران، مؤسسة النشر والطبع، جامعة طهران، ط٣، ١٤١٢ هـ.

١٥ـ الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، للسيد عبد الله شبر (١٢٤٢ هـ) الكويت، مكتبة الالفين، ط١، ١٤٠٧ هـ.

١٦ـ حاشية الشهاب المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي) على تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية، محمد أزمير، ديار بكر – تركيا.

١٧ـ الخصائص لابي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى – بيروت – لبنان ط٢.

١٨ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون من أول القرآن إلى نهاية المائدة للسمين الحلبي، إعداد أحمد الخراط ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

١٩ـ دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ط٣، المنار – مصر ١٣٦٦ هـ.

٢٠ـ دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان وزميله – دمشق، ط٢، ١٩٨٧.

٢١ـ ديوان امرئ القيس، شرح حسن السندوبي، ط٢ ومعه كتاب أخبار المراقشة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام، المكتبة التجارية الكبرى – مصر.

٢٢ـ ديوان أمية بن أبي الصلت، معه بير يموت، المطبعة الوطنية، بيروت ١٩٣٤ م.

٢٣ـ ديوان الحطيئة، بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٥٨ م.

٢٤ـ ديوان الخنساء، دار صادر، بيروت.

٢٥ ـ ديوان القطامي، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٠ م.

٢٦ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر – بيروت ١٣٨٦، هـ ١٩٦٦ م.

٢٧ـ شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) إدارة الطباعة المنيرية.

٢٨ـ صدر المتألهين لمحمد بن ابراهيم صدر المتألهين الشيرازي (م ١٠٥٠ هـ) قم، بيدار، ط٢، ١٣٦٦ م.

٢٩ـ صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، ط١، دار إحياء التراث العربي – لبنان ١٩٩٥ م.

٣٠ـ الكاشف لمحمد جواد مغنية (م ١٤٠٠ هـ) بيروت ، دار العلم للملايين،ط٣، ١٩٨١ م.

٣١ـ الكتاب لسيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) ط١، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق – مصر، ومعه تقريرات من شرح الكتاب لأبي سعيد السيرافي، ٣٦٨ هـ، وتحصيل عين الذهب للأعلم الشمنتري، ٤٧٦ هـ ـ مكتبة المثنى بغداد.

٣٢ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) وبذيله أربعة كتب، الأول: الانتصاف لأحمد بن منير الاسكندري،

والثاني: الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني. الثالث: حاشية محمد المرزوقي على تفسير الكشاف. الرابع: مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف لمحمد المرزوقي أيضاً. دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

٣٣- كنز الدقائق وبحر الغرائب لمحمد بن محمد رضا القمي، طهران، مؤسسة الطباعة والنشر ط١.

٣٤- لسان العرب، دار صادر، دار بيروت ١٠٥٦.

٣٥ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن لأمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) بيروت – دار إحياء التراث العربي ١٣٧٥ هـ.

٣٦- مكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق ياسين محمد السواس، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٣٧- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء – مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٧ هـ - ١٩٥٥ م.

٣٨- معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي في الموصل ١٩٨٩ – ١٩٩١ م، ط١.

٣٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للدكتور محمد فؤاد عبد الباقي، مطابع الشعب.

٤٠- مفتاح السعادةلأحمد بن مصطفى، مراجعة وتحقيق كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة.

٤١- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، مصطفى البابي الحلبي، طالأخيرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦١.

٤٢- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ذت ٢٨٥ هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب – بيروت.

٤٣- المقتضب طبعة القاهرة.

٤٤- منهاج السنة النبوية في نقض كلام اليعة والقدرية لابن تيمية، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، ١٣٢١ هـ.

٤٥ـ مواهب الرحمن في تفسير القرآن للسيد عبد الأعلى السبزواري، النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٤١٤ هـ.

٤٦ـ الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٣٦٠ هـ).